

فخرى أبو السعود

للاستاذ محمد محمود زيتون

أوشكت عشر سنوات أن تنقضي على وفاة الشاعر الكاتب فخرى أبو السعود على إثر عنة لم تأكله حتى أسلمته إلى يد الردى ، فقصفت شبابه الغض ، وترك هذين البيتين وأولهما لزهير والآخر للمنتجب :

سئمت تكاليف الحياة ومن يمش ثمانين حولاً لا أباك يسأم
ولأى لمن قوم كرام نفوسهم ترفع أن تحيا بلحم وأعظم
وهذه الثلاثون التي سئمتها فخرى كانت حافلة بحياة أدبية ممتازة إن لم تكن نادرة ، فقد تخرج - رحمه الله وغفر له - في مدرسة المعلمين العليا ، ونجح في مسابقة وزارة المعارف فبقيته إلى جامعة أكستر بإنجلترا ، وتوفيت أمه فرثاها بقصيدة دامة نشرتها مجلة « الإمام » ولم يكن يعلم بنشرها لولا أن قدمتها إليه ذات عشية التقيت به فيها بداره في شتاء سنة ١٩٣٨ .

وعاد فخرى إلى الوطن وقد اختار زوجته من إحدى زميلاته الإنجليزيات ، وأنجب منها ولدين . وأقام في منزل وأدع برمل الإسكندرية ، وسافرت قريبته إلى وطنها تزور أهلها وممها ولداها . فلما شبت نار الحرب ، واستهدفت إنجلترا للغارات ، كان الولدان من بين أطفال الإنجليز المرحلين إلى أمريكا ففرقت بهم السفينة جميعا . أما زوجه فقد حبستها الحرب عن الالتحاق به في مصر .

وفي صيف سنة ١٩٣٩ التحق فخرى بجامعة (جرينوبل) في دراسة صيفية خاصة ، وفي نيته أن يلتق زوجته هناك ، ولكنه عاد ولم يتمكن من لقائها هناك .

كان فخرى محبا للرياضة ولا سيما (التنس) ، ومغرما بالسير على الأقدام على شاطئ البحر في هدأة الفجر ، ونأمة السماء ، وكان من رواد السينما إذا كان بها فلم يتفق مع ثقافته وهواه . خرج ذات يوم من عرض سينمائي وهو حائق على الآجانب لاستهجانهم موكبا وطنيا جاء في الجريدة الناطقة ، فالتفت له أكسف الجاهير ، بالتصفيق ، فكتب فخرى في « الرسالة » قصيدة تفيض بالوطنية قال منها :

أقم صاغراً وارغم حياتك وشقتها فإنيك مصرى وإنك مسلم
وعنى فخرى بالتاريخ ، فوضع « الثورة المرامية » ، ونشر في « الرسالة » قصيدة بمناسبة « ذكرى موقعة التل الكبير » ، وأخذ نجمه يلعب في الأفق الأدبي لما كانت تتماز به قصائده من أصالة ودقة حتى ارتفع إلى مصاف كبار الأدباء على الرغم من حداثة سنه ، وفي غير جليلة أو دعابة .

واحتفل في شعره بالطبيعة والوطنية والوجدان ، وعنى بكل أفظ جزل رصين ، وبالروى الجميل الناعم . هذا وهو مدرس للغة الإنجليزية بالمدارس الثانوية .

وتقدم فخرى إلى المسابقة التي عقدتها وزارة المعارف سنة ١٩٣٩ فانفرد بجائزتين مائتين يكتايبه : « الخلافة » و « البارودي » ونال من الدكتور هيكمل باشا (وزير المعارف حينذاك) ما هو أهل له . وقد أطلعت فخرى بعد عودته من جرينوبل على كتب تاريخية هامة أحضرها معه ، وعكف على دراستها في شغف وهدوء ، وكان بعد هذه المراجع كثرأ ثميناً يستر به ويفخر .

وكانت دراسات فخرى في « الأدب المقارن » التي كانت تنشرها له الرسالة تباعاً كبير دليل على أنه تملك ناصيتي العربية والإنجليزية ، وأن محاولته تلك لم يسبقه إليها أحد من مواطنيه بل ولا من المستشرقين . وقصد نقل إلى العربية « تس سليلة دربرقيل » للشاعر القصصي الفيلسوف توماس هاردي ، نشرتها له لجنة التأليف والترجمة والنشر من سلسلة عيون الأدب العربي . هذه لمحة قصدت منها إلى التنويه بما كان لفقيد الأدب من مكانة لم ينلها غيره ، ومع هذا درج إلى وادي النسيان . وكأنه ما كان ، أفلا يجدر بالدوائر الأدبية في مصر أن تستعيد ذكرى فخرى أبو السعود قبل أن يمحو الاسم الماشر على وفاته ، فتؤلف لجنة لجمع شعره في ديوان ، ويحوته عن الأدب المقارن في كتاب . وعسى أن يتفضل معالي وزيرنا الأديب الدكتور طه حسين بك فيأمر بنفض القبار عن أصول كتابيه الفائزين وبذلك تدفع منا وصمة التنكر لدوى الفضل ، ولا شك أن في إحياء ذكره نكرباً للأدب والأدباء .

محمد محمود زيتون